"الغوطة: النهوض من تحت الرماد"

كلمة قدمت في لندن، بريطانيا، يوم السبت ١٠ آذار/مارس ٢٠١٨

للدكتورة نسرين نواز

مديرة القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

(مترجمة)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

١. مقدمة

"إننا نقف اليوم أمام مذبحة القرن الحادي والعشرين. فإذا كانت مذبحة التسعينات هي سريبرينيتسا، ومذابح الثمانينات هي حلبجة وصبرا وشاتيلا، فإن الغوطة الشرقية هي مجزرة هذا القرن".

كانت هذه كلمات طبيب في الغوطة الشرقية، إحدى ضواحي دمشق، في سوريا.

أخواتي، عندما وقعت مذبحة سربرينيتشا في البوسنة عام ١٩٩٥، والتي أعدم فيها ٨٠٠٠ رجل وفتى مسلم بدم بارد على يد القوات الصربية في ما كان من المفترض أن تكون بلدتهم ملاذا آمنا توفره الأمم المتحدة، قال العالم حينها... لن يتكرر هذا مرة أخرى! لكننا هنا ومن جديد نشهد إبادة جماعية، وحمام دم منسكب، يمارس الآن ضد إخواننا وأخواتنا في الغوطة الشرقية. إن الفظائع التي نشهدها والمعاناة التي تحملتها أمتنا تتجاوز ما يمكن تخيله؛ في مكان تم اعتباره منطقة آمنة.

في غضون أسبوع واحد فقط في شهر شباط/فبراير، قُتل أكثر من ٥٠٠ مدني، بينهم ١٥٠ طفلاً، فضلاً عن حوالي ٢٠٠٠ جريح، جراء القصف الوحشي العنيف للنظامين السوري والروسي المجرمين الوحشيين... واستمر عدد القتلى بالارتفاع يوما بعد يوم بعد يوم – على الرغم من مهزلة قرار الأمم المتحدة القاضي بوقف إطلاق النار لمدة ٣٠ يوماً في ٢٤ شباط/فبراير. بل إن الضربات الجوية في بعض، كانت تتوالى كل دقيقة.

يستهدفون المدنيين دون تمييز – من الرجال والنساء والأطفال والرضع – في المنازل والمحلات التجارية والمدارس والمستشفيات وسيارات الإسعاف والأسواق، ما يترك الأطفال مدفونين تحت أنقاض المباني. وحتى بعد ما يسمى بهدنة الأمم المتحدة أسقطت قوات الأسد قنابل الكلور على مسلمي الغوطة، وهي مادة كيميائية تنتج حامضًا شديد التآكل في الرئتين ما يسبب مشاكل خطيرة في التنفس... ما جعل الصور التي تفطر القلوب تتوالى، صور لأطفال ورضع يلهثون بحثا عن هواء نقي...

نتيجة القصف، أُجبرت العائلات على اللجوء إلى الكهوف أو المخابئ أو الأقبية المظلمة الباردة والضيقة أسفل المباني في "انتظار دورها للموت". في مدينة حرستا، يقال بأن ٨٠٪ من السكان يعيشون حاليا تحت الأرض. وقد تم تدمير أكثر من ٢٠ مركزًا طبيًا. ولذلك لجأ الأطباء الآن إلى رعاية المرضى، بما في ذلك الأطفال الخدج وحديثي الولادة الذين يحتاجون

حاضنات، في الأقبية حيث يواجهون الموت من برد الشتاء القارس. ووصف الأمين العام للأمم المتحدة الوضع بأنه "جحيم على الأرض".

لكن أيتها الأخوات، هذا ليس إلا الفصل الأخير من الإبادة الجماعية بحق مسلمي الغوطة... لأنه على مدى السنوات السبع الماضية، ومنذ بداية الثورة في سوريا، قتل ١٣٠٠٠ مدني في الغوطة الشرقية من قبل نظام الأسد والقوات الروسية، بما في ذلك حوالي ١٥٠٠ طفل، و١٢٠٠ شخص ماتوا تحت التعذيب، إضافة إلى ٤٦ هجوما كيميائيا (وفقا للشبكة السورية لحقوق الإنسان)... أضف إلى ذلك الهجوم المروع في آب/أغسطس ٢٠١٣ والذي خلف أكثر من ١٤٠٠ قتيل، من بينهم ٤٠٠ طفل.

وإلى جانب هذا كله، ظلت الغوطة الشرقية تحت حصار وحشي من قبل النظام السوري على مدى السنوات الخمس الماضية، ما جعله يوصف بأطول حصار في التاريخ الحديث، متسببا بنقص حاد في الغذاء والأدوية والوقود. أربعمائة ألف شخص محاصرون في حفرة الموت هذه. هنا يستخدم الأطباء أدوية منتهية الصلاحية لعلاج المرضى والمصابين، هذا فضلا عن مجاعة جماعية أثرت في الأطفال أكثر من غيرهم. ووفقاً للأمم المتحدة، فإن حوالي ١٢٪ من الأطفال دون سن الخامسة يعانون من سوء التغذية الحاد والمئات يواجهون الموت جوعاً.

في أحد الفيديوهات التي انتشرت على نطاق واسع، ظهرت أم تقف إلى جانب ابنها الذي توفي للتو من هجوم، وهي تبكي وتقول: "لقد مات جائعا! لم يأكل! لم يأكل. على الأقل، سيأكل في الجنة." سبحان الله أيتها الأخوات، رغبة الأمهات المحتضرات، هي أن يحصل أطفالهن على طعام يشبع معدتهم قبل أن يموتوا! لا حول ولا قوة إلا بالله! فيما تدعو أمهات أخريات أن يقبض الله أرواح أطفالهن! لماذا؟... لإنهاء ألمهم، لإنهاء معاناتهم... لأنهم على الأقل لن يضطروا إلى تحمل آلام الجوع التي لا تطاق والعذاب الشديد من الجروح في الجنة. يا الله! هل تستطعن تخيل حجم معاناة شقيقاتكن، عندما تفضل الأم الموت عوضا عن الحياة لطفلها، الذي تحبه من كل قلبها، لأن الموت سيوقف عذابه؟!

أو هل تستطعن تخيل حجم اليأس، عندما ينهار أطباء الغوطة الشرقية بعد أن عالجوا طفلًا بعد طفل، ممن أصيبوا بجروح من جراء القصف المتواصل، من فقد أطراف، أو إصابات بالعمى، أو تمزق أجسامهم الصغيرة... إلى درجة أصبحت قلوبهم لا تحتمل إخراج الأطفال من أرحام الأمهات المحتضرات لأنهم لا يستطيعون تحمل فكرة أهوال العالم التي سيولد فيها هؤلاء الأطفال؟!

٢. تخلي العالم عن مسلمي الغوطة:

أخواتي، نرى القنابل تنهمر على رؤوس الأطفال الجوعى في الغوطة الشرقية وهم يواجهون خطر الإبادة. نرى الصف تلو الصف من الأطفال القتلى الملفوفين في الأكفان المخضبة بالدماء (أكفان الموت). نرى دموع أمهات الغوطة وهن يصرخن من أجل طعام يسدون به رمق صغارهم الذين يموتون جوعا. نرى التدمير المنقطع النظير لهذه الأرض المباركة، وإخوتنا وأخواتنا يذبحون لإخضاعهم، ويستعدون لغزو بري من قبل سفاحي الأسد، ومجزرة لربما تكون أسوأ من تلك التي رأيناها في حلب.

كل هذا بالطبع إلى جانب مئات الآلاف من إخواننا وأخواتنا الذين تعرضوا للذبح في سوريا على مدى السنوات السبع الماضية بواسطة آلة القتل التي يستخدمها الأسد، وبمساعدة حلفائه. وعشرات الآلاف الذين لقوا حتفهم في سجون بشار المجرم – ٦٥٠٠٠ منذ عام ٢٠١١ وفقًا لبعض التقارير – كثير منهم تم تعذيبهم حتى الموت.

وعلى الرغم من كل هذه الفظائع، إلا أن هذه المعاناة وهذه الدماء التي لا يمكن تخيل حجمها، تجري على مرأى ومسمع من المجتمع الدولي، والأمم المتحدة، والحكومات الغربية، والأنظمة القائمة في العالم الإسلامي، الذين يشيحون بوجوههم عما يجري، ويتجاهلون الإبادة الجماعية، ويطلقون العنان للسفاح بشار وحلفائه المجرمين؛ ليواصل الذبح مع الإفلات من العقاب. لقد خرقوا جميع الاتفاقيات المتعلقة بحماية الحياة البشرية وحقوق الإنسان وحقوق الطفل! ومن الواضح، أن هذا "الجحيم المستعر" ليس كافيا حتى لزعزعة مشاعرهم!

إذن لماذا؟ لماذا اشتد الهجوم على الغوطة على مدى الأشهر القليلة الماضية؟ ولماذا تجاهلت القوى الغربية والأمم المتحدة والأنظمة في العالم الإسلامي هذا الحمام الدموي الذي يصب على رؤوس إخواننا وأخواتنا؟

للإجابة على هذا السؤال، أيتها الأخوات، علينا أن نفهم طبيعة الثورة في سوريا. علينا أن نفهم أن هذه الثورة ليست ثورة عادية. لا! إنها ثورة مباركة. في الواقع، أرض بلاد الشام كلها التي تشكل سوريا جزءاً منها هي أرض مباركة وأهلها أهل بركة.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**طُوبَى لِلشَّأْمِ**». فَقُلْنَا: لأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لأَنَّ مَلاَئِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**»

وأرض الغوطة لها مكانة عظيمة عندنا نحن المسلمين.

روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال "**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**» (رواه أبو داوود)

وفقا لكلام رسول الله ﷺ، فإن الثورة في سوريا مختلفة عن الثورات في بلدان الربيع العربي الأخرى مثل تونس ومصر وليبيا. ففي سوريا، لم يكن المسلمون يطالبون بإسقاط بشار ونظامه فحسب، بل كانت لديهم دعوة مميزة... وكانت تلك الدعوة هي استبدال الحكم الإسلامي في بلادهم بهذا النظام القمعي الفاسد... كان هذا هو هدفهم... رأينا ذلك في هتافاتهم، في شعاراتهم، في مظاهراتهم الضخمة من حمص إلى حلب، ومن دمشق إلى إدلب، ومن درعا إلى دوما؛ "قائدنا إلى الأبد سيدنا محمد ﷺ"، "هي لله، هي لله"، "لبيك لبيك لبيك يا الله"، و"الأمة تريد خلافة إسلامية".

وعلى مدى السنوات السبع الماضية، وبغض النظر عن الألاعيب السياسية والموقف الذي تلعبه على الشاشة... فقد توحدت القوى الغربية، بمساعدة أدواتها؛ الأمم المتحدة والأنظمة الدمى في العالم الإسلامي، تركيا والسعودية وقطر وغيرها توحدت جميعا مع الأسد وحلفائه – روسيا وإيران – لتحقيق هدف واحد؛ سحق هذه الثورة الإسلامية واحتواؤها بأي ثمن، بغض النظر عن مقدار الدمار الذي قد يلحقه ذلك، وبغض النظر عن حجم الخسائر البشرية.

إنه نهج العصا والجزرة الذي تم استخدامه – قصفهم لإخضاعهم – في أماكن مثل حمص وإدلب وحلب والغوطة في محاولة لإجبارهم على الجلوس إلى طاولة المفاوضات والقبول بمستقبل سياسي علماني لسوريا والتخلي عن إسلامهم. كل الدعوات، وجميع مبادراتهم ومقترحاتهم للسلام – من جنيف إلى فينا، ومن الرياض إلى أستانة – كانت لتحقيق هذا الهدف فحسب؛ سحق الثورة الإسلامية من أجل التغيير الحقيقي، وإبقاء النظام السوري العلماني القمعي في السلطة – بغض النظر عما إذا كان بشار على رأسها أم لا – كل ذلك للحفاظ على النفوذ الغربي في تلك المنطقة من العالم الإسلامي والإبقاء على استنزاف مواردها.

أيتها الأخوات، هذا هو السبب وراء تجاهل هذه الإبادة الجماعية والاستمرار في تجاهلها من قبل الحكومات الغربية والإسلامية، فبالنسبة لهم جميعا... فأنهار الدم، التي تشكلت من أبناء الغوطة وكل سوريا، ثمن يستحق أن يدفع مقابل مصالحهم السياسية الملطخة بالدماء. مصالحهم في هذه المنطقة! في الواقع، يبدو أن لا حد للوحشية التي هم على استعداد لانتهاجها مقابل تأمين أهدافهم.

حتى الأموال والأسلحة التي قدمتها بعض الأنظمة في البلاد الإسلامية مثل تركيا والسعودية لبعض المقاتلين والكتائب الثائرة لم تكن تهدف أبداً للإطاحة بالنظام السوري – فهي لا تكفي أبداً لذلك – بل كانت ببساطة وسيلة لتقسيم الألوية وإضعافها والتلاعب بها لقبول خطط الأسياد الغربيين لهذه الأنظمة... وعندما وجدوا أنهم لم يحققوا أهدافهم، قاموا ببساطة بالتخلي عن مقاتليهم كما رأينا في حلب وكما نرى في الغوطة.

لكن الحمد لله، الحمد لله، فإن مسلمي سوريا، الصفوة المباركة كما وصفهم الرسول ﷺ، ثبتوا على دينهم، رافضين كل محاولات ترهيبهم للتخلي عن دعوتهم ورؤيتهم الإسلامية، وثبتوا على القتال من أجل اقتلاع هذا النظام الطاغية... وهكذا تصاعد القصف الوحشي المتعطش للدماء على أمل أن يكسر إرادتهم ويجبرهم على الاستسلام.

ما نراه الآن في الغوطة، والتي كانت دائمًا معقلاً للمقاومة الإسلامية، هي محاولة من محاولات النظام السوري الساعية لسحق وإخراج ما يعتبرونه أحد جيوب المقاومة الأكثر أهمية وقوة، خاصة وأن موقع الغوطة استراتيجي حيوي يقع بالقرب من أكبر قاعدة عسكرية في البلاد والمطار الدولي، ويبعد ٣٠ دقيقة بالسيارة فقط عن وسط دمشق، مقر الحكم.

٣. نحن كأمة لا يمكننا التخلي عن مسلمي الغوطة:

• أيتها الأخوات العزيزات، لقد تخلت الأمم المتحدة وحكومات العالم عن مسلمي الغوطة وسوريا، لكن أمتنا لا يمكنها ذلك!

لا يمكننا التخلي عنهم، لأن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**».

– هذه الأمة جسد واحد لذلك من المستحيل أن نتجاهل آلامهم.

• لا يمكننا التخلي عنهم لأن النبي ﷺ قال: «**قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا**»

– يخبرنا نبينا عن مدى حرمة دم المسلم وكيف أن الاستجابة لسفكه هي واحدة من أعظم الأعمال في الإسلام.

• لا يمكننا التخلي عنهم لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾

• لا يمكننا التخلي عنهم لأن النبي ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»

• إننا كمسلمين، نتحمل مسؤولية كبيرة وثقيلة لإنهاء إراقة الدماء وبشكل عاجل، وعدم تسليم أو ترك إخوتنا وأخواتنا تحت رحمة مضطهديهم.

٤. رفض اليأس:

• إلا أن عدم التخلي عنهم، يعني بدايةً عدم فقدان الأمل في هذه الحالة. فنحن لا يمكننا فقدان الأمل أو الشعور بأنه لا يوجد شيء يمكننا القيام به أو أنه لا وجود لحل لهذه المشكلة – لأننا عندما نفعل ذلك، نتخلى عنهم ليتم ذبحهم! ونحن لا نستطيع القيام بذلك!

• يجب علينا ألا نفقد الأمل أيتها الأخوات – لأن هذه الأمة ليست عاجزة؛ إنها أمة المليار ولديها من أقوى الجيوش في العالم التي يمكنها الدفاع عن أمتنا إذا ما تم حشدها. فتركيا (ثامن أقوى دولة في العالم وثاني أكبر دولة في حلف شمال الأطلسي)؛ وباكستان (المرتبة ١٣ من حيث عدد السكان، – أكثر من فرنسا وإنجلترا وألمانيا مجتمعات بـ١.١ مليون نسمة)؛ مصر (لديها أكثر من ١٠٠٠ طائرة حربية)، السعودية (تنفق ٥٦ مليار دولار على ميزانية الدفاع – أكثر من روسيا). لذلك أيتها الأخوات، فنحن لسنا أمةً عاجزة... لكننا نشعر بالعجز بسبب هذه الأنظمة الإجرامية والجبانة في البلاد الإسلامية، حيث يستخدمون جيوش المسلمين للحفاظ على عروشهم أو للقتال في الحروب من أجل المصالح القومية الأنانية أو من أجل مصالح القوى الغربية بدلاً من الأمة.

– فالأنظمة الحاكمة مثل مصر والسعودية والأردن، بدلاً من أن ترسل جيوشها للدفاع عن أطفال الغوطة... ترسلهم لذبح وتجويع أطفال اليمن!

– والأنظمة الحاكمة مثل تركيا، بدلاً من استخدام طائراتها المقاتلة وترسانتها الهائلة لإنقاذ المسلمين في سوريا... تستخدم جيشها للقتال نيابةً عن مصالح القوى الغربية.

– والأنظمة الحاكمة مثل باكستان، بدلاً من إرسال جنودها لمحاربة الظالمين وقتلة هذه الأمة... ترسلهم لمحاربة إخوانهم المسلمين نيابةً عن أمريكا!

• ولكن الأهم من ذلك أيتها الأخوات، لا ينبغي علينا أن نفقد الأمل من نصر الله سبحانه وتعالى، لذا يحرم علينا أن نقبل بأي اقتراح لسوريا بعيد عن ديننا! ألم يقل الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة (الآية ٢١٤) عن المؤمنين الذين سبقونا والذين تم تعذيبهم بشدة لأنهم تمسكوا بدينهم... ﴿**مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾؟

• أيتها الأخوات، ألم تكن السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي حافلين بالأمثلة على مواقف بدا فيها المؤمنون يعانون الأمرين ويواجهون الصعاب المكدسة في وجوههم، لكن الله سبحانه وتعالى منحهم النصر؛ بسبب توكلهم وصمودهم وتقواهم له سبحانه وتعالى؟ لقد كان ذلك في الوقت الذي كان فيه النبي ﷺ والمسلمون يواجهون أحلك الأوقات وأصعبها إلا أنهم تمسكوا بدينهم وتيقنوا بأن الله سبحانه وتعالى قد وعدهم بالفوز والنصر في كفاحهم من أجل الإسلام.

– فمثل غزوة الأحزاب عندما تحالف أعداء الإسلام، وجمعوا جيشاً من ١٠٠٠٠ جندي، قويا، ذا تسليح جيد، وكان هدفهم مشتركا، ألا وهو تدمير الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ومحو الإسلام. وكان عدد المسلمين ٣٠٠٠ فقط، وكان الوضع في المدينة مريعًا، وكانوا يواجهون المجاعة، وكان الطقس شديد البرودة وكان هناك قحط. لم يكن لديهم سوى بضعة أيام لحفر خندق حول حدود المدينة لمحاولة حمايتها من الأعداء. وكانت الأرض وعرةً وكانوا لا يملكون سوى المعاول ويختارون الأماكن المناسبة لحفر هذا الخندق الضخم.

ولكن في هذا الوقت، بشر الله تعالى نبيه ﷺ بالنصر والتمكين؛ فقد بشر الرسول أصحابه باتساع **الفتوحات الإسلامية**، في وقت كان المسلمون فيه محاصرين في المدينة يواجهون المشاق والخوف والجوع والبرد القارص، "لَمَّا كَانَ حِينَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَعَرَضَتْ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ لا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ. قَالَ: فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا أَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الأَبْيَضَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السَّاعَةَ"

– أيتها الأخوات، ألم تتحقق وعود الله؟ نعم فعلاً لقد تحققت. كما نصر الله أيضاً المسلمين في غزوة الأحزاب بإرسال إعصار غاضب لتدمير معسكر الأحزاب، مما أجبرهم على الفرار.

• أيتها الأخوات، إنه اليقين التام بنصر الله هو الذي منع مسلمي الغوطة وسوريا من الاستسلام في ثورتهم المباركة على الرغم من معاناة سبع سنوات من البراميل المتفجرة والغارات الجوية والهجمات الكيماوية والملاحم والاغتصاب والسجن والتعذيب من قبل نظام بشار المجرم. مع ازدياد الوحشية، ازداد توكلهم، وصمودهم وعزمهم على قلب هذا الطاغوت وإرساء حكم الله... لقد كان شعارهم إما النصر أو الشهادة... إنهم مثل هؤلاء الموصوفين في الآية الكريمة (١٧٣) من سورة آل عمران؛ عندما قال لهم المنافقون ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾

• أيتها الأخوات، إذا كان إخواننا وأخواتنا في سوريا قادرين على الصمود في وجه كل هذا، فمن المؤكد أنه درس قوي لنا أن لا نتخلى أبداً عن الأمل من نصر الله، إنه قريب بإذن الله!

٥. الحل الصحيح لإنهاء سفك الدماء والعمل به:

• فما الذي يمكننا فعله أيتها الأخوات لتحقيق هذا النصر وإنهاء هذه الإبادة الجماعية ضد أمتنا في الغوطة وسوريا؟ أخواتي الكريمات، إذا أردنا حقاً وقف حمام الدم هذا، يجب علينا أن نعمل من أجل التوصل إلى حل ينهي حقًا ذبح إخواننا وأخواتنا.

• إن هذا يعني أولاً، أن مجرد ذرف الدموع، وإعطاء بعض الصدقات ثم العودة إلى حياتنا اليومية ليس هو الحل الصحيح. على الرغم من أهمية الصدقات إلا أننا نعرف أنها لن تنهي سفك الدماء. حتى إننا لا نعرف ما إذا كانت هذه الصدقات ستصل إلى الغوطة وإلى المناطق المحاصرة الأخرى! لقد رأينا هذا الأسبوع كيف أن مساعدات الأمم المتحدة للغوطة لم تصل ورجعت بسبب القصف والتهديد من الهجمات الكيماوية.

• أما ثانياً أيتها الأخوات، فإن إنهاء سفك الدماء، يعني عدم ارتكاب الخطأ نفسه مرارًا وتكرارًا، بوضع آمالنا على الأمم المتحدة الضعيفة والحكومات الغربية التي تخدم نفسها لحل مشاكلنا كأمة ولحماية دمائنا – سواء أكان ذلك من خلال الضغط على أعضاء البرلمان المحليين، أم بتقديم الاعتراضات لهذه الحكومات، أم بالتظاهر خارج البرلمانات، أو أية أعمال مشابهة.

لقد شاهدت هذه الحكومات والأمم المتحدة ذبح أكثر من ٥٠٠،٠٠٠ شخص في سوريا على مدى السنوات السبع الماضية، وشاهدوا أطفالاً يحترقون ويختنقون جراء الهجمات الكيماوية، وشاهدوا عدداً لا حصر له من المستشفيات والمدارس المدمرة، وتم تجاوز كل الخطوط الحمراء، وكسر كل الاتفاقيات المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع ذلك وقفوا مكتوفي الأيدي ولم يقوموا بأي شيء، وتخلوا عن المسلمين في سوريا وتركوهم للموت!

فكل ما يسمى بمبادرات السلام، والتدخلات والحلول المقترحة قد تمت فقط لإعطاء المجرم بشار مزيداً من الوقت للتعذيب والاغتصاب وقتل المسلمين. في الواقع، فإن المهزلة المطلقة لقرار الأمم المتحدة الحديث، أنه وبعد ساعات قليلة من دعوتهم إلى وقف إطلاق النار لمدة ٣٠ يومًا، بدأ النظام السوري هجومًا بريًا جديدًا في الغوطة أعقبه هجوم كيماوي. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾

لقد أظهر لنا التاريخ ذلك مراراً وتكراراً – سواء في غزة أو ميانمار أو كشمير أو الهند أو أفريقيا الوسطى أو أي أرض أخرى ذبح فيها المسلمون – أن هذه الحكومات والأمم المتحدة ليست سوى أداة لهذه الدول، ولن تخدم إلا مصالحها السياسية والاقتصادية... ومصالح تلك الدول لن تكون أبداً بمساعدة أية ثورة تقوم على أساس الإسلام ويكون هدفها تحقيق التغيير الحقيقي للعالم الإسلامي!

• لذلك، علينا التوقف عن رؤية التدخلات الغربية في بلادنا كحل لمشكلاتنا... إنها السبب لمعظم مشاكلنا – فنحن نرى الفساد والاضطرابات التي قاموا بها في العراق وأفغانستان وليبيا! قال النبي ﷺ: «**لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**»

(٦) كيف يمكن للخلافة أن تحمي الأمة في الغوطة وكل العالم:

• لذا نحن كأمة، ماذا يمكننا أن نفعل لحماية دماء إخوتنا وأخواتنا في الغوطة وسوريا؟

• بطبيعة الحال، فإن أول شيء هو التضرع لله سبحانه وتعالى بالدعاء أن يحمي أمتنا، ويدمر نظام بشار وجميع حلفائه، وأن ينصر المسلمين في الشام.. إن القوة بيد الله وحده، وهو وحده القادر على كل شيء.. ولكن ماذا أخبرنا النبي الحبيب ﷺ؟ قال ﷺ في أحد الأحاديث: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»

• ما هو المعروف الذي يجب أن نأمر به، والمنكر الذي يجب علينا منعه لوقف إراقة هذا الدماء إن شاء الله؟

– أيتها الأخوات، أليس واضحاً بشكل فاضح أنه عندما يقتل المسلمون السوريون على يد الجيش، وبمساعدة من الجيوش الأخرى.. فإن ما يحتاجونه هو جيش للدفاع عن دمائهم؟! أسألكن أيتها الأخوات، أي دولة هنا اليوم، والتي تعتقدن بصدق سوف ترسل جيشها لحماية الأمة في سوريا؟.. لا يوجد أي دولة.

– ولذلك فإن ما نحتاجه بشدة هو دولة تحكمها قيادة إسلامية وحاكم مخلص وتقي، يرى نفسه بحق حارسا للأمة، ومدافعا عن هذا الدين، والذي سيحشد جيشه بشكل عاجل لحماية المسلمين..

هذه الدولة هي دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة التي هي الدرع الحامي للمؤمنين، كما قال النبي ﷺ «**إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ**».

• وهذا هو ما نحتاجه أيتها الأخوات للقيادة — والتي تعد نهاية الحكم بهذه الأنظمة الخسيسة في العالم الإسلامي.. وكل واحد من الذين التزموا الصمت أو التآمر في الجرائم المرتكبة ضد هذه الأمة، والحاجة الملحة العاجلة لإقامة حكم إسلامي وإقامة الخلافة، هذا هو الحل – من ديننا، من القرآن والسنة – لحماية دماء المؤمنين! قال الإمام الغزالي (رحمه الله) بخصوص الخلافة:

"الدين والسلطان توأمان، ولهذا قيل الدين أس والسلطان حارس، فما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع" وقال أيضاً في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد "والسلطان ضروري في نظام الدين ونظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري للفوز بسعادة الآخرة، وهو مقصود الأنبياء قطعاً. فكان وجوب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه"

• أيتها الأخوات، إن القيادة الإسلامية للخلافة هي التي ستوحد البلاد الإسلامية، ومواردها، وثرواتها، وقوتها البشرية، وأصولها الاستراتيجية – مثل الممرات المائية، والموانئ، والمجال الجوي، والقواعد العسكرية، والأهم من ذلك توحيد جيوش العالم الإسلامي لإنشاء قوة سياسية واقتصادية وعسكرية عظمى – قوة عظمى تقوم بتعبئة وحشد وتحريك جنودها وترسانتهم العسكرية فورا للدفاع عن المؤمنين والتخلص من الظالمين وتحرير الأراضي الإسلامية من الاحتلال وإلقاء الرعب في قلوب أولئك الذين يتجرؤون على ترويع أو الإضرار بالأمة الإسلامية – بغض النظر عن المكان الذي يعيشون فيه – لأن هذا يعد واجبا إسلاميا على الدولة والخليفة – حاكم المسلمين – من الله سبحانه وتعالى.

• وهذا بالضبط ما حدث في ظل الخلافة في الماضي:

– في القرن الثاني عشر، وكما نعلم أيتها الأخوات، احتل الصليبيون القدس وأجزاء كثيرة من أرض فلسطين المباركة. ذبحوا مسلمي القدس، وقتلوا الآلاف. ويصف المؤرخون في الواقع كيف جرت الشوارع حتى الكاحل بدماء المسلمين... ومع ذلك، وفي ظل الخلافة العباسية – قام قائد الجيش الكبير حاكم مصر – صلاح الدين الأيوبي بتوحيد ولايات الخلافة التي أصبحت شبه مستقلة عن الدولة في ذلك الوقت، ثم قاد جيش الخلافة الموحد لتحرير القدس التي أصبحت مرة أخرى مدينة مزدهرة تحت ظل الإسلام. وكانت معركة حطين التي هزم فيها صلاح الدين الصليبيين قد حصلت في رمضان وفي ذروة حرارة الصيف. وقبل المعركة نصحه بعض مستشاريه بتأجيل القتال إلى ما بعد شهر رمضان. بيد أن صلاح الدين أجاب قائلا: "حياة الرجل قصيرة، والموت لا يعطي أي موعد، ويترك المحتلين في الأراضي المسلمة لأكثر من يوم واحد، على الرغم من القدرة على طردهم، هو عمل بغيض لا يمكنني تحمله".

– أيتها الأخوات، لديكن دولة، عاصمتها في العراق، القائد صلاح الدين الذي كان كردي الأصل لكنه حكم مصر، وحشد جيشاً لتحرير فلسطين. – هذه هي طبيعة وطريقة الخلافة التي ترفض الحدود الوطنية – وترى الأمة واحدة، وأرضها واحدة، ودمها واحداً، وجيشها واحدا.

الخلاصة:

• أيتها الأخوات، هل ستنهض الغوطة والشام من رمادها؟ حسناً، هذا يعتمد علينا.. يعتمد على ما إذا كانت الأمة تتخذ موقفاً لصالح دينها، وما إذا كنا نركز اهتمامنا ووقتنا وجهودنا بحزم على إيجاد الحل الحقيقي الوحيد الذي سيضع حدا لهذا الكابوس من أجل الخير وإقامة دولة الخلافة.

• إذا فعلنا ذلك، فإن شاء الله الغوطة وبلاد الشام كلها، وحتى أيضا العالم الإسلامي بأكمله يمكنه النهوض من رماده، تماما مثل أرض الشام المباركة، كما نهضت في الماضي تحت ظل الحكم الإسلامي للخلافة بعد تحرير صلاح الدين أيوبي لها من الصليبيين، لتصبح جوهرة مشرقة لهذا العالم، مركزا للتعلم والازدهار.. وبقيت كذلك حتى احتلالها من قبل الصهاينة عندما هدمت الخلافة وبالتالي لم يعد هناك درع لحمايتها أو حماية الأمة..

ولكن إذا لم نركز اهتمامنا ووقتنا وجهدنا بقوة على هذا الحل الحقيقي – إقامة الخلافة – فإننا وللأسف سنستمر في رؤية ذبح إخواننا وأخواتنا في سوريا، وسيتكرر الأمر في المنطقة تلو الأخرى! في هذا الأسبوع فقط، هاجمت عصابات من البوذيين المتطرفين منازل المسلمين ومتاجرهم في سريلانكا... ونحن ندعو أن لا تكون هذه ميانمار القادمة إن شاء الله.

• وبسبب غياب هذه الدولة اليوم، فإن المسلمين ليس لديهم ناصر، لا درع حام، ولا وصي.. وبالتالي فإن الطغاة والمعتدين والقتلة والمسيئين للمسلمين لديهم الحرية في إرهاب وترويع وذبح المؤمنين دون خوف.

• أرجو أيتها الأخوات أن لا تنظرن للخلافة كحلم، كلا! إن إقامتها هو واجب عاجل وضعه الله على عاتقنا.. موصوفاً بأنه أم الفرائض من قبل علماء الإسلام القدماء. وأرجو من الأخوات ألا يروا الخلافة كرؤية طويلة الأمد، تتم إقامتها في وقت ما في المستقبل البعيد.. لا! إنها ضرورة ملحة الآن.. لأنه عندما نشتت انتباهنا عن المخططات

والمبادرات لتغطية وتضميد الجرح الضخم الذي ينزف في هذه الأمة أو وضع الأمل في المخططات الغربية والدولية الفاشلة.. فإننا بذلك وببساطة نطيل معاناة وألم أمتنا..

• أيتها الأخوات، قمن بمجاراة دموعكن وألمكن وغضبكن للأمة في الغوطة من خلال حمل دعوة الخلافة بكل ما تبذلنه من جهود لكل من تعرفن. ناقشنها مع صديقاتكن وعائلاتكن وجهات الاتصال لديكن، قمن بترتيب الجلسات والمحادثات في بيوتكن، وفي المساجد؛ ساهمن في نشر الخبر على وسائل التواصل وكل السبل التي أعطاكن إياها الله.. عن خيانة وجرائم الأنظمة في العالم الإسلامي ضد هذه الأمة والدين، وفضح خطط الحكومات الاستعمارية في أرضنا ضد المسلمين والإسلام، وشرح ذلك لمن تعرفن عن عدم جدوى جميع الحلول الغربية لمشاكلنا كأمة، ومناقشة الواجب الإسلامي والحاجة الملحة للخلافة. وفضلاً أيتها الأخوات لا تؤجلن ولا تتأخرن، افعلنها الآن! ألم نشهد ما يكفي من سفك الدماء لأمتنا؟؟

– إن من الأهمية بمكان في مناقشاتكن أيتها الأخوات، أولئك الذين هم في الجيوش... مع التركيز الخاص عليهم، لأنهم يملكون القوة العسكرية لإعطاء النصرة لإقامة الخلافة. وتذكيرهم بالواجب الذي وضعه الله على أكتافهم لحماية هذه الأمة! وتذكيرهم بالعقاب العظيم في الآخرة بسبب التخلي عن إخوانهم وأخواتهم! اسألوهم لماذا يذلون أنفسهم عن طريق إعطاء ولائهم لهؤلاء الجبناء والخونة والمجرمين – حكام المسلمين –!

وندعوهم لاحتضان هذا الشرف الكبير بأن يصبحوا أنصار اليوم، وجيش الخلافة الراشدة الثانية حتى يصبحوا أبطال هذه الأمة وبإذن الله ينالون أعظم المكافآت في الآخرة.

• أيتها الأخوات العزيزات، لا تتركن أي جهد، وأي فرصة ضائعة في هذه الدعوة النبيلة، وبالتالي يمكننا أن نشهد إقامتها قريبا بإذن الله، ونسأل الله أن تتحول دموع الألم على أمتنا إلى دموع الفرح حيث إن هذه الدولة الراشدة ستولد من جديد، وإن نورها وعدلها سيعم جميع أركان هذا العالم، وأن يكون الفضل الكبير لهذا الانتصار على يديك. آمين

• والله نسأل أن يخفف معاناة أمتنا في الغوطة وسوريا، وحمايتهم والحفاظ على صمودهم وصبرهم في كفاحهم المبارك... وأن يرفع الظلم عن الأمة في جميع أنحاء العالم وأن يرزقنا نصرا قريبا.. اللهم آمين

• يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾

– هذا وعد من الله ولا يخلف الله وعده.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.